

الأشهر الحرم وتعظيمها

الخطبة الأولى

أيها المسلمون: إنَّ شهرَكُم هذا هو أحدُ الأشهرِ الحُرُم التي نصَّ القرآنُ عليها في الجملة، وبينها الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام، فقال: **(إِنَّ الزَّمانَ قدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)**، رواه البخاريُّ ومسلم. والله عزَّ وجل بيَّن حُرْمَتَهَا، وحذَّر من الظُّلم فيها، وحذَّر من الإخلال بحرمتها ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [١]، فحذَّر سبحانه من ظُلم النفوس فيها، ومعلوم أنَّ ظُلم النفوس أمرٌ مُحَرَّمٌ مُطلقاً في جميع الزَّمانِ والمكانِ، ولكنَّ الله خصَّ الأشهرَ الحرمَ بمزيدٍ تأكيدٍ للتحريم، وأنَّ الظُّلمَ فيها يكونُ أشدَّ إثماً وأعظمَ جريمةً

نحنُ في ثاني جُمُعَةٍ من هذه الأشهر الحرم ينبغي أن نستفيد من هذه الفرصة الزمانية الربانية عبراً ودروساً منها :

أولاً: أن هذا الاصطفاء لهذه الأشهر أثراً من آثارِ كَمالِ عِلْمِ الله تعالى وتَمَامِ حكْمته، وهذا مما يزيِدُ المسلمَ عبوديةً وإيماناً برَبِّه سبحانه. قال جل شأنه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

ثانياً: تعظيم ما عَظَّمه الله تعالى، فإن هذه الأشهرَ عَظيمةُ القدرِ والمكانةِ في شرع الله، ومن تعظيم المؤمنين لربِّه تعالى: أن يُعَظَّم ما عَظَّمه، بل ذلك من أمِراتِ خيريَّة العبدِ وتقواه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ وقال سبحانه: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وإذا كان أهلُ الجاهلية يُعَظِّمون هذه الأشهرَ بالامتناعِ عن القتالِ فيها، حتى يَمُرَّ الرَّجُلُ بقاتلِ أبيه فلا يُؤذيه؛ فإنَّ المؤمنَ المُعَظِّمَ لله ورسوله صَلَّى الله عليه وسلَّم أولى بتعظيمها: لا تقليداً! بل تعبُداً واتباعاً.

ثالثاً: ومن أعظم دلالات تحريم الظلم في هذه الأشهر الحرم: الكفُّ فيها عن المعاصي كُلِّها، قال قتادة رحمه الله: **أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾** : إِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةٍ وَوِزْراً مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيماً، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعْظِمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا شَاءَ (رواهُ ابنُ جرير).

رابعاً: لِيَعْلَمَ كُلُّ مَنْ يَقَعُ فِي شَيْءٍ مِنَ الظُّلْمِ أَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْفِ حَقَّهُ فِي الدُّنْيَا، فَسَوْفَ يَسْتَوْفِيهِ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ، وَفِي مَوْقِفِ يَشِيبُ الْوِلْدَانُ لِهَوْلِهِ وَصُعُوبَتِهِ، فَيَا مَنْ ظَلَمْتَ النَّاسَ فِي حُقُوقِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، اتَّقِ اللَّهَ وَتَذَكَّرْ وَقُوفَكَ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَبَادِرْ بِتُوبَةٍ صَادِقَةٍ، وَعَلَيْكَ بِرَدِّ الْمَظَالِمِ لِأَهْلِهَا؛ وَتَذَكَّرْ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: **مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ مِنْ عَرَضِهِ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ دِينَارٌ، وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ.**

خامساً: ومما تُعْظَمُ به الأشهر الحرم: الزديادُ من العمل الصالح فيها، فإنَّ للزمان الفاضلِ مِيزةً على غيره

الخطبة الثانية

كتاب رتبته

فلنتقِ اللهَ عبادَ الله ولنعظّمَ أمرَ ربِّنا؛ بالكفِّ عن ظُلمِ أنفسنا وظُلمِ غيرنا، ولنُكثِرَ ما استطعنا فيها من أنواعِ الطاعاتِ وتفريجِ الكُرْبَاتِ، ولنَتَذَكَّرَ أَنَّ تعظيمنا للظُّلمِ في هذه الأشهر الحرم علامةٌ على الخيريّةِ وتقوى القلوب.